الإسراء والمعراج

(القصة الكاملة)

- من دروس الإسراء والمعراج
- ماذا نتعلم من الإسراء والمعراج

أبو محمد الأزهرى

دار زاهد القدسى
للطباعة والنشر والتوزيع

دار زاهد القدسى للطباعة والنشر والتوزيع
٧٢ شارع البستان - عابدين - القاهرة
تليفون وفاكس: ٣٩١٢١٢٢
ص . ب : ٦٦٣ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادى له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا صفاته وأسمائه ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله. ﷺ. وعلى إخوانه الأنبياء الطاهرين. ومن تبعهم جميعًا - على هدىً من الله وبصيرة - إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله. وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة.

وبعـــد:

فإن مما يسخن العين أسفًا. أن يجتمع المسلمون كل عام للاحتفال بالإسراء والمعراج، فيخرج المرء ولم يصطل منهم بنار،

فضلا عما تحويه هذه الجلسات من مكذوب الحديث وكثرة التكرار.. وكأن هذه الحادثة ما هي إلا «حدوتة» لا يتعلم المسلمون منها شيئًا. فلما رأيت البلية قد طمت، وعلى أرض المسلمين عمت.. شرعت في وضع شرح لطيف -علّ العين تقربه- أسبر به غورها والتقط فيه دورها. ولا أدعي أني أتيت فيه بما غاب عن الفضلاء. بل ذلك جهد المقل قصدت به الإشارة. وما ألزمت نفسي فيه التقصي بل ما تركت أضعاف ما ذكرت..

فيا أخي المسلم: هذا عقل صاحبه معروض عليك. وبضاعته منجاة إليك. فإن عدم منك دعاءً وشكراً. فلا يعدم منك عذراً.

والحمد لله أولا، والحمد لله آخرا، والحمد مستغرق المحامد كلها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه

يحيى سوس

غفر الله ولوالديه ومشايخه آمين

ملخص قصة الإسراء والمعراج

كما رواها البخارى ومسلم

بينما رسول الله - ﷺ - نائم فى بيته بمكة. فرج سقف البيت، وأُخذ رسول الله إلى المسجد الحرام.. فشق جبريل صدره - ﷺ - وغسله من ماء زمزم. ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها فى صدره الشريف - ﷺ - ثم أطبق صدره.

ثم أتى جبريل عليه السلام - بدابة أبيض يقال له: البراق. فوق الحمار ودون البغل. يقع خطوه عند منتهى طرفه.. فركبه النبى - ﷺ - حتى أتى بيت المقدس. فربطه بالحلقة التى يربط بها الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه.

ثم دخل رسول الله - ﷺ - فصلى ركعتين ثم خرج. فأتاه جبريل -عليه السلام - بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن. فقال جبريل: اخترت الفطرة.. وعند البيهقى: أن جبريل

أتاه بإناء من لبن وإناء من عسل فاختار اللبن.. وعند ابن جرير: أن جبريل أتاه بإناء من خمر وآخر من ماء وثالث من لبن فاختار اللبن. فقال له جبريل: أصبت الفطرة. ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك. ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك.

ثم عرج برسول الله - ﷺ - إلى السموات العلى فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لهما.

فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة. فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح.

فقال النبى: من هذا؟ فقال جبريل: هذا آدم - عليه السلام - وهذه الأسودةعن يمينه وعن شماله نسم بنيه. فأهل اليمين أهل الجنة. والأسودة التى عن شماله أهل النار. فإذا نظر قبل يمينه ضحك. وإذا نظر قبل شماله بكى.

ثم صعدا حتى مرا على موسى - عليه السلام - فلماذا جاوزه النبى - ﷺ - بكى موسى. فنودى: ما يبكيك؟ قال:

ربّ! هذا غلام بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى . .

ثم صعد فإذا إبراهيم - عليه السلام - فى السماء السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . . ورأى رسول الله - ﷺ - نهران ظاهران ونهران باطنان .

فأما الباطنان : فنهران فى الجنة . وأما الظاهران : فالنيل والفرات .

ثم أُتى رسول الله بإنائين خمر ولبن فاختار اللبن فقيل له : أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة . وعند أحمد : أُتى بخمر ولبن وعسل . فاختار اللبن . فقيل : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك .

ثم ذُهب برسول الله إلى سدرة المنتهى . فتغشاها من أمر الله ما غشى ، وفرض على رسول الله - ﷺ - خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . . فنزل رسول الله حتى أتى موسى فقال له موسى عليه السلام : ما فرض ربك على أمتك ؟

قال: خمسين صلاة. فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فإن أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم.. فمازال رسول الله يرجع بين رب العزة سبحانه وبين موسى. حتى قال رب العزة سبحانه: يا محمد! إنهن خمس كل يوم وليلة لكل صلاة عشر. فذلك خمسون صلاة.

ثم نزل رسول الله – ﷺ – إلى المسجد الأقصى فصلى بالأنبياء، ثم خرج فأتاه جبريل – كما روى الإمام أحمد – بإناء من لبن وآخر من عسل فأخذ اللبن. فقيل أصبت الفطرة.

ثم رجع رسول الله – ﷺ – فأخبر قريشا الخبر.. فسألوه عن أشياء من بيت المقدس. فجلا الله سبحانه له بيت المقدس. فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه.

أخى المسلم: تلكم أبرز حوادث القصة. كما رواها الإمامان البخارى ومسلم رحمهما الله. عدا ما نبهت عليه منها.. اقرأها جيداً، وحاول أن تتدبرها. ففيها من الفوائد. أضعاف ما ذكرت..

والله سبحانه المسئول أن ينفع بكتابى هذا، وأن يعلمنا ما ينفعنا. وينفعنا بما علمنا. فإنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه.

قبل البدء

العرب – عموما – لم يهتموا بالتواريخ فى أزمانهم الغابرة. لا تواريخ الشهور والأيام، ولا تواريخ السنين والأعوام. بل كانوا يحددون الأعوام بالأحداث العظام، كعام حرب البسوس، وداحس والغبراء، والفجار، وعام الفيل، ونحو ذلك.

وظل هذا الأمر بعد الإسلام، حتى خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه. فهو أول من دون الدواوين، ووضع التاريخ فى الدولة الإسلامية.

ولأن الذكريات الدينية، كانت متعلقة دائمًا بمشاعر المسلمين الأول، فلم يصنعوا لها احتفالا وقتئذ.

ومن ثم اختلف العلماء فى تأريخ معظم المناسبات الدينية. كمولد النبى ﷺ، ورحلة الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة، وغير ذلك ولم يكن الخلاف قاصرا على اليوم أو الشهر بل كان فى العام كذلك.

وقد أورد النووى رحمه الله – فى شرح مسلم (١ / ٩٠٢) حديث (٤٠٤) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ – الخلاف فى تاريخ الإسراء فقال (أقل ما كان فيه أنه كان بعد مبعثه – صلى الله عليه وآله وسلم – بخمسة عشر شهرا. وقال الحربى: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين. وقال ابن اسحق: أسرى به – صلى الله عليه وآله وسلم – وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل) ١٠. هـ.

وثمت أقوال أخرى لأهل العلم.. ولكن مما يؤكد عدم دقة هذه التواريخ ما أجمع عليه العلماء: من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بعد المعراج إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً.

كما أتى بذلك حديث البراء بن عازب رضى الله عنه – عند البخارى (٨ / ١٧٤) حديث (٤٤٩٢) فى تفسير سورة البقرة باب، ولكل وجهة هو موليها، ومسلم (٢ / ٦٧٢) حديث (١١٥٧) كتاب الصلاة باب تحويل القبلة – قال البراء « صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ستة

عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً. ثم صرفنا نحو الكعبة».

ولذلك: لو كان الإسراء فى رجب، يكون تحويل القبلة فى ذى القعدة، وليس فى شعبان. ولو كان تحويل القبلة فى شعبان، يكون الإسراء فى ربيع الآخر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وعلى كل.. وبرغم هذا الاختلاف فى تاريخ الإسراء، فدعونا نتأمل تلكم القصة التى حفظها المسلمون، وغفلوا عن لطائفها ومرماها. فى حين هزت وقت حدوثها العالم.

* * *

هذا الإسراء.. فأين المعراج؟!

بالرغم من أن القصة اسمها الإسراء والمعراج. نجد رب العزة سبحانه يقول: «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله. لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير**».

فأين المعراج؟! لماذا يقص الله سبحانه علينا قصة الإسراء

ويترك المعراج؟ الإسراء انتقال فوق نفس الأرض، من مكان إلى مكان، بينما المعراج انتقال من الأرض إلى السماء. إلى حيث سدرة المنتهى، حيث عرش الرحمن سبحانه... أيهما أعظم وأجل؟؟

لأى شيء وأى علة يذكر الله سبحانه الإسراء ويترك المعراج؟؟

أولا: ذكر الله سبحانه الإسراء وترك المعراج. لأن المقصود محجة الكافرين واعجازهم.. ولا يقع التحدى إلا بما يعرفونه ويألفونه وهم قوم ألفوا السفر، فهم أرباب تجارة ينتقلون معها فى الشتاء والصيف، وهم يضربون فى سفرهم أكباد الابل شهراً، وهم يعرفون المسجد الأقصى وآياته..

ويوقنون أن محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يذهب إلى المسجد الأقصى، فلا يعرف علاماته، بَلْه أن يعرف ما قد يكون فى الطريق حين ذلك..... ولكن النبى -صلى الله عليه وآله وسلم - أخبرهم بالمسجد وآياته، بل أخبرهم بما وجد فى الطريق.

وبذلك وقعت عليهم الحجة، وانقطعت معارضتهم.

بينما المعراج لا يمكن تحديهم به، لأنهم لا يعرفون شيئًا عما في ملكوت السموات.. فلو قال لهم: قد ارتفعت إلى السماء ورأيت ورأيت، لم تتحقق الحجة عليهم، لأنهم لا يعرفون شيئًا عن ذلك أصلا.

ثانيًا: ليس المقصود بالمعراج التحدى والإعجاز، ولو قصد به الاعجاز، لكان المعراج عيانا.. ولكنه كان ليلا خفيًا، بل لم يخبر النبى المشركين بعروجه للسموات..

أقول ومن الله استمد العون: المعجزة من العجز – ضد القدرة – وهى إثبات العجز فى الغير بتحديه أن يأتى بمثلها أو يقاربها..

وقد كان كفار مكة سألوا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يرقى السماء، ولكنهم قصدوا بذلك تعجيزه فقالوا: ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه.. ولذلك لم يجبهم الله سبحانه، وكان الرقى بالنبى إلى السماء بعيدا عن التحدى والإعجاز.

ولذلك لم يذكره الله سبحانه، بل ذكر الإسراء فقط.. وكأن لسان القدر ينطق.. لا تعارضوه فى المعراج، أو تطلبوا منه الرقى إلى السماء، ولكن تحدوه – إن كان فى مقدوركم فى ذلك الإسراء، الذى هو سفر قد ألفتموه... أما المعراج الأعظم، فأعفيكم منه. فليس المعراج لكم، وإنما المعراج منحة ومنة ربانية إلى عبده ومصطفاه محمد – صلى الله عليه وآله وسلم»..

ولذلك قال سبحانه: ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) ﴾

[النجم: ١٢].

يقال: ماراه مراءً ومماراة إذا جادله واعترض عليه..

والمعنى: أتجادلونه وتعارضونه فيما رآه ولم يتحداكم به، عندما رأى جبريل على صورته، وعندما رأى سدرة المنتهى و.... إنه لم يتحداكم بكل ذلك، فلا تجادلوه فيه، بل جادلوه فى الإسراء وما تحداكم به إن كان فى مقدوركم.

* * *

لماذا رحلة المعراج؟

ذكرنا أن المعراج لم يكن مقصودا به التحدى، وإنما كان منحة ربانية إلى محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وقد نال النبى هذه الهدية باخلاص عبوديته لله سبحانه.. ولذلك قال سبحانه «**سبحان الذى أسرى بعبده..**» إنما نال هذه الرحلة بعبوديته لله سبحانه تلك العبودية التى شرفته وكرمته، وسمت به ليكون سيد ولد آدم.

إن العبودية لله سبحانه هى الشرف الأسمى، والمنزلة الأرقى إن العبودية لله هى الحرية فى أرقى معانيها.. ولذلك قال ربعى بن عامر - رضى الله عنه - قولته الخالدة «**جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد**».

بينما التحرر من العبودية لله - إن جاز هذا التعبير - هو الذل بكل ما تحويه معانى الذلة والمسكنة. إنه عبودية للشهوات البهيمية، وأراذل الخلق. ولذلم قال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم « كل الناس يغدوا فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها».

من باع نفسه لله وحده فقد حررها، ومن باع نفسه بالهوان والبخس.

من يهن يهن الهوان عليه   مـا لجـرح بميـت إيـلام

إن الكل عبيد لله سبحانه – شاء ذلك العبد أم أباه – الكل تحت ملكه وقهره سبحانه. ولذا قال سبحانه: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣]، إن هذه العبودية – عبودية الملك والقهر – لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها..

أما عبودية الحب والطاعة، فهى التى ترفع الإنسان لترقى به فى مصاف الأطهار البررة.. وقد بلغ النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قمة هذه العبودية. ولذلك وصفه الله سبحانه بها فى أكمل أحواله فى الإسراء، والتحدى، والدعوة، و....

تـذييـل

فى الإخبار عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – بلفظ عبد.. إشارة إلى بشريته – صلى الله عليه وآله وسلم – وأنه

برغم كمال أحواله فهو بشر وعبد لله سبحانه.. فلا يرفع عن منزلته، وينسب له ما لا ينسب إلا إلى الله سبحانه.. فهو - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا - بله غيره، ولا يعلم الغيب. كما قال سبحانه: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ... (١٨٨) ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فلا يصح أن يقال فيه - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو قول بعضهم.

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ولذا قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «لا تطروني، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله» البخاري.

التجهيز للرحلة وشق الصدر

بينما رسول الله - ﷺ - نائم في بيته بمكة. فرج سقف البيت، وأُخذ رسول الله إلى المسجد الحرام.. فشق جبريل صدره

- ﷺ - وغسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها فى صدره الشريف - ﷺ - ثم أطبق صدره.

إن لقاء الله سبحانه. لابد من الاستعداد له بتطهير القلب من كل سوء يكون قد ألم به، من ذنوب ومعاصى، وأى شىء للشيطان فيه نصيب.

ولذلك قال النبى - ﷺ - « ... ألا وأن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله. ألا وهى القلب » رواه الستة فإصلاح القلب وتطهيره هو الفيصل فى صلاح العبد وفساده. وقد قال ابن حبان البستى رحمه الله « من أصلح جوانيه. أصلح الله برانيه، ومن فسد جوانيه أفسد الله برانيه » ١. هـ.

وفساد القلب يوقع فى الشرك أو الرياء - والعياذ بالله « وإنما لكل امرئ ما نوى »، ولذلك قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ ﴾ [المدثر: ١ - ٤].. وربك فكبر. قالوا عظم. أى: ادعوا إلى الله سبحانه.

أقول: وقد يكون ادعوا الله وحده. قم بين يديه سبحانه مكبرا له، ولذلك طهر ثيابك. قال كثير من المفسرين: الثياب هنا القلب. ١. هـ.

فجعل سبحانه طهارة القلب شرطا للوقوف بين يديه، وتكبيره سبحانه والإقبال عليه ولذلك – والله أعلم – شرع سبحانه الوضوء لأمه محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى يقفوا بين يدى الله طاهرين غير مدنسين بالذنوب والمفاسد، بل يتطهرون من ذنوبهم قبل الوقوف بين يديه سبحانه. كما قال النبى – صلى الله عليه وآله وسلم– «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء – فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء – فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء – حتى يخرج نقيا من الذنوب» رواه مسلم والترمذى.

وأعضاء الوضوء – عدا الرأس – محل الذنوب وأسبابها. لذلك أمر الله بغسلها، أما الرأس فلما كان ليس محلا للذنب

كان المسح فيه، وكأنه تذكير للعقل، ومسح لسوء تفكيره، ولم يلزم الغسل. لأن الغسل قد عم مداخل الفكر قبلا - العين والأنف واللسان - والله سبحانه وتعالى أعلم.

مبدأ الرحلة البيت الحرام

بدأت الرحلة من المسجد الحرام كما قال سبحانه « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » وانتهت بالرجوع إلى المسجد الحرام.

فما هى مؤهلات هذا البيت ليكون المبدأ والنهاية؟ ولماذا هو حرام؟

١ - البيت الحرام أول بيت وضع للناس ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** (٩٦) ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قالوا: بنى قبل آدم عليه السلام بألفى عام. وقالوا: بل بناه آدم، وقالوا: بل إبراهيم عليه السلام.

وبرغم ذلك يبقى أول بيت وضع للناس.. قال أبو ذر رضى الله عنه قلت: يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام.. » رواه البخارى إنه بيت على

غرار البيت المعمور - كعبة السماء - يطوف بهذا أهل الأرض، كما يطوف بذاك أهل السماء.

وما دام أول بيت فهو المنبع والمصب، وكل البيوت بعده تبع له.

٢ - إبراهيم - عليه السلام - هو رافع قواعد البيت الحرام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]، وموطن إبراهيم عليه السلام بفلسطين حيث الأرض المباركة، ولكن يأتيه أمر الله بالانتقال إلى مكة لرفع قواعد البيت بيديه ويدى ولده إسماعيل - عليهما السلام.

لقد كانت القيادة فى فلسطين، ويأتى إبراهيم عليه السلام ليعلن أن القيادة قد آذنت بالرحيل حيث مكة البيت الحرام، فيترك ولده إسماعيل للقيادة الجديدة، متى انتقلت ويرجع إبراهيم لموطنه موضع القيادة، حتى يقضى الله سبحانه أمرا كان مفعولا، فتنتقل القيادة لسيد ولد إسماعيل النبى الأمى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم،

وينتقل إبراهيم عليه السلام حيث القيادة. فيراه النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمور.

٣ - جعل الله سبحانه بيته حرمًا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا (٦٧)﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا (٥٧)﴾ [القصص: ٥٧].

والحرم هو ما يحميه الرجل ويدافع عنه فلا يحل لأحد انتهاكه والدخول فيه بغير إذن، ومن حرمة البيت الحرام أن لا يقر به مشرك أبدا، بل يجب إخراجهم من الجزيرة كلها - كما لا يقتل فيه شيء إلا ما استثناه النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بل يحرم فيه قطع الشجر أو الشوك الذى لا نفع فيه، بل يحرم فيه التفكير فى السوء أيا كان وارادته قال سبحانه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾ [الحج: ٢٥].

٤ - جعل الله سبحانه الحرم أمنًا ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣].

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [القصص : ٥٧]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٧]، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

[البقرة : ١٢٥].

ومن أمن الحرم حفظ أمن الحيوان والطير – إلا ما استثنى بحديث رسول الله ﷺ « خمس فواسق، يقتلن فى الحرم . الفأرة، والعقرب، والغراب، الحُديا، والكلب العقور » رواه الستة . . ولا يقاتل فيه مشرك إلا إذا بدأ بالقتال ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [البقرة : ١٩١] . . وجيش آخر الزمان الذى يخسف به، إنما يصنع به ذلك . لأنه أراد أن ينزع عن الحرم أمنه . قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم « يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم » رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

٥ – جعل الله سبحانه البيت الحرام مثابة للناس يثوبون إليه –

يرجعون إليه ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

إن المتأمل فى هؤلاء الذين أفنت الحياة قواهم، وأحنت ظهورهم، ولا يملكون من حطام الدنيا « ثاغية ولا راغية » وهم تتفطر قلوبهم يدعون ربهم الحج قبل الموت - ليتعجب من ذلك.. ما الذى قذف فى قلوبهم حب هذا البيت والتعلق به، حتى استقر ذلك فى شغاف قلوبهم، فلا تفقر ألسنتهم من طلبه. وذلك الذى يرزقه الله الحج يملأ الهوى فؤاده ويتمنى لو عاد إليه، والله ما ذلك إلا بدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].. ولذلك وقف النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يخاطب مكة « والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلىّ، والله لولا أنى أُخرجت منك ما خرجت » صحيح رواه الترمذى وابن ماجة.

٦ - ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].. لقد بنى الله بيته ببكة، وبكة من البك، سميت

بذلك لأن الله سبحانه يبك - يقطع - فيها أعناق الظلمة.. انظر ما فعل الله بأبرهة وجنده، وانظر إلى ذاك الجيش المخسوف به فى آخر الزمان.

٧ - قال سبحانه ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝٧ ﴾ [الشورى: ٧] وفى الأنعام ٩٢، ولتنذر بالواو. وأم القرى هى مكة وفى ذلك أشياء.

أ - من خواص الأم أن يقصدها أبناءها يلتفون حولها، ويلجأ إليها يُفضون إليها بما يخافون، فتأخذهم بحنانها إلى صدرها فترتفع عنهم همومهم.. تلكم بعض خواص الأم يقصدها أبناؤها جميعا يطلبون الأمن ويحتكمون إليها، وهى تقبلهم.. قارن هذا بكون هذه الأم هى مقصد المسلمين كلهم ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۝١٥٠﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقارن هذا بحديث النبى - صلى الله عليه وآله وسلم « الخلافة فى قريش ».

وقوله «الوزن وزن أهل مكة».

ب - من خواص الأم أن تكون سابقة لأبنائها، فهى أول ما ظهر، وأبناؤها يلتفون حولها.. وأم الشىء أوسطه ومركزه.

أن تكون مكة أم القرى - أوسط الأرض - وبؤرتها، ليتوافق مع نتائج الأبحاث العلمية لعلماء الدراسات الأرضية والفلكية وغيرهم من أن مكة هى مركز الأرض. ومركز الشىء هو ما عليه مداره. فإذا هلك المركز هلك ما حوله، وإذا بقى واشتد فما حوله تبع له، فمكة إذاً بمثابة نواة الأرض وبؤرتها فإذا هلكت فأى شىء يبقى بعدها؟؟!!

٨ - قال سبحانه ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة: ٩٧]. قالوا: قياما للناس: صلاحا لدينهم ودنياهم، وقالوا: قيامها: أن يأمن من توجه إليها، وقالوا: لا يعذبهم الله ما داموا يحجون إليه، وقالوا: هى مجمع للتجارة يأتون إليه من كل فج فهى أمن دنياهم وصلاحها،

وقالوا غير ذلك.

وأقول ومن الله استمد العون: هى قوام أمر المسلمين وصلاح دينهم ودنياهم.. فإذا هلكت، هلكت الأرض بما فيها.. يذكرون «أن قريشا لما أرادت بناء الكعبة. كشفوا عن أساس من حجارة خضر كالأسنة، آخذ بعضها ببعض، فأراد رجل أن يقتلع منها حجراً. فأدخل عتلة بين حجرين، فلما تحرك الحجر، انتفضت مكة بأسرها» نقله ابن كثير فى تفسيره ١ / ١٨١ عن ابن إسحاق.

ولذلك المسلمون بخير ما دامت الكعبة كذلك، أما فى آخر الزمان فهلاك الدنيا بخراب الكعبة كما قال النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – «يخرب الكعبة ذو السويقتين» البخارى ومسلم والنسائى.. ذلك الذى يخرب الكعبة ويلقى بحجارتها. إن ذلك إيذان بخراب الدنيا، فمتى خربت الكعبة وهى القيام للناس، وهى نواة الأرض فهى النهاية، ونعوذ بالله من زمان هذا حاله..

ملكوت السموات .

« ركب النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – البراق – حتى أتى بيت المقدس . فربطه بالحلقة التى يربط بها الأنبياء . . ثم دخل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فصلى ركعتين ثم خرج « ثم نزل رسول الله من السماء بعد المعراج – إلى المسجد الأقصى مرة ثانية ، فصلى بالأنبياء ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم » .

فلماذا كانت رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى ؟ ولماذا سمى بالمسجد الأقصى أو بيت المقدس ؟ ولماذا أمر النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – باستقبال المسجد الأقصى ثم أمر بالتحول إلى الكعبة المشرفة ؟

ولماذا يصلى النبى بالأنبياء ، وهم أكبر منه ؟ وهم أهل المسجد الأقصى ؟

ولماذا لا يصلى بهم النبى فى المسجد الحرام برغم أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – هو القائل « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة ، والصلاة فى

إن البراق تحد للبشرية رغم تطور علومها.. لقد تم النقل بسرعة البرق، لا صاروخ ولا نفاثة، بل بسرعة البرق. تلك السرعة التى يعجز العلم رغم تطوره عن الاقتراب منها.

تذييل

قال بعض أهل العلم: البراق قد يكون من قولهم شاة برقاء. إذا كانت بيضاء بها طاقات سوداء..

ولكن نقول ومنه سبحانه نستمد العون: لو كان البراق بمعنى البياض. لم يكن فى قوله: دابة أبيض فائدة..

ثم لو كان المقصود ذلك. لكان يقال له: الأبرق وليس البراق.. وإنما البراق أصله البراقى منسوبا للبرق، فحذفت الياء تخفيفا ــ والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسجد الأقصى

انتهت رحلة الإسراء ببيت المقدس «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله» لتبدأ رحلة جديدة هى رحلة المعراج. رحلة الصعود إلى

ملكوت السموات.

« ركب النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – البراق – حتى أتى بيت المقدس. فربطه بالحلقة التى يربط بها الأنبياء.. ثم دخل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فصلى ركعتين ثم خرج « ثم نزل رسول الله من السماء بعد المعراج – إلى المسجد الأقصى مرة ثانية، فصلى بالأنبياء ثم خرج صلى الله عليه وآل وسلم ».

فلماذا كانت رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى؟ ولماذا سمى بالمسجد الأقصى أو بيت المقدس؟ ولماذا أمر النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – باستقبال المسجد الأقصى ثم أمر بالتحول إلى الكعبة المشرفة؟

ولماذا يصلى النبى بالأنبياء، وهم أكبر منه؟ وهم أهل المسجد الأقصى؟

ولماذا لا يصلى بهم النبى فى المسجد الحرام برغم أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – هو القائل « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة، والصلاة فى

بيت المقدس بخمسمائة صلاة »؟ الحديث رواه الطبرانى والبزار وقال البزار – إسناده حسن.

« يلاحظ أنا تناولنا بعض الإجابة عن هدف رحلة الإسراء فى فعل هذا الإسراء فأين المعراج؟ ».

١ – « من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الأقصى هو البعيد قيل سمى أقصى لأنه ليس بالأرض إذ ذاك غير مسجدين القريب – الحرام والبعيد هو هذا، وقيل: أقصى لبعده عن مكة، وقيل: أقصى لبعده عن الخبث والأقذار، وقيل: لبعده فى الزمان » حكى ذلك ابن حجر الفتح ٣ / ٧٨.

أقول ومنه سبحانه وحده استمد العون والمدد: هو أقصى لكل ذلك. فهو بعيد عن مكة. انظر إليهم وهم يعترضون على النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً. فهذا مسيرة شهرين » وهو أقصى لبعده عن الخبث والأقذار كما يأتى عند الكلام على « بيت المقدس ».

وهو أقصى لبعده فى الزمان . روى البخارى من حديث أبى ذر قال : قلت يا رسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما؟ قال : أربعون سنة . ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل » .

وبرغم تأخر المسجد الأقصى ، ونزوله عن مرتبة المسجد الحرام . ظل هذا المكان موطن أنبياء الله من أبناء إبراهيم – عليه السلام – غير إسماعيل وذريته .

إن ذلك ليؤيد أن هذا المسجد – الأقصى – مسجد مرحلى ، جاء لاجتياز مرحلة معينة ، بينما الرفعة والقيادة تظل حيث المنشأ ، حيث أول بيت وضع للناس ، ولذلك عاش إبراهيم عليه السلام عند المسجد الأقصى ، أما بعد وفاته فانتقل حيث العزة والقوة الأصلية . فاستند إلى البيت المعمور .

فائدة قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره (٣/ ٢٤) « فائدة حسنة جليلة » روى الحافظ أبو نعيم الأصبهانى ، ثم ذكر الحافظ الإسناد فى قصة هرقل مع أبى سفيان قال الحافظ عن أبى سفيان : والله ما منعنى من أن أقول عليه قولا أسقطة من عينه إلا

أنى أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ ولا يصدقنى فى شيء. قال: حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به. قال: فقلت: أيها الملك! ألا أخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قال: قلت: إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا. مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح.

قال: وبطريق إيليا عند رأس قيصر. فقال: قد علمت تلك الليلة. قال: فنظر إليه قيصر. وقال: وما علمك بهذا؟ قال: إنى كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد، غلبنى، فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى كلهم. فعالجته فغلبنا فلم نستطع أن نحركه. كأنما نزاول به جبلا، فدعوت إليه النجاجرة. فنظروا إليه فقالوا: إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح. فننظر من أين أتى.

قال: فرجعت وتركت البابين مفتوحين. فلما أصبحت غدوت عليهما. فإذا الحجر الذى فى زاوية المسجد مثقوب. وإذا فيه أثر مربط الدابة.

قال : فقلت لأصحابى : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبى، وقد صلى الليلة فى مسجدنا . ا . هـ.

٢ – «المسجد الأقصى الذى باركنا حوله» . . البركة : هى الخير والنماء .

وأصل البركة : الثبات والاستقرار يقال برك البعير إذا استقر .

فقد سماه النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – بيت المقدس . وفى بيت المقدس لغتان مشهورتان ذكرهما النووى رحمه الله فى شرح صحيح مسلم (١ / ٩٠٦) فيقال فيه

– المَقْدِس – بفتح الميم، وإسكان القاف وكسر الدال المخففة . أى بيت الطهارة والمكان الطاهر . الذى يطهر فيه من الذنوب .

– المُقَدّس – بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال . بمعنى المطهر .

ولذلك يقال هو أقصى : بمعنى بعيد عن الخبث والشرك . فهو طاهر مطهر من الشرك والكفر والدنس .

فالإسراء برسول الله ﷺ إليه تنبيه للمسلمين بأنه بيتهم وأحد مقدساتهم. فهو مسرى رسولهم وقبلة صلاتهم. وهو أحد المساجد التى تشد إليها الرحال. فهم حماته. وهم مسئولون عنه ولذلك أخبر النبى ﷺ عنه ببيت المقدس. إشعار للمسلمين بأن هذا واجبهم نحوه. أن يقدسوه ويطهروه من النجس المادى والإلحادى. من النجس التلمودى.

إنه قدسكم يا مسلمون... فهل قدستموه؟؟

٩ – قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (١٢٣)﴾ [النحل: ١٢٣]. إبراهيم – عليه السلام – هو رافع قواعد البيت الحرام، ولكنه كان مقيما بأرض فلسطين حيث المسجد الأقصى.. فلزم من اتباعه استقبال بيت المقدس، ولذلك أمر الله سبحانه باستقبال بيت المقدس فى الصلاة. وظل المسلمون يتجهون إليه ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم نسخ الأمر إلى الاتجاه إلى الكعبة المشرفة – بيت الله الحرام.

لقد كان تحويل القبلة أمراً خطيراً. فقد كان اختبار

للمؤمنين. واستدراج للكافرين، وفتنة لأهل الكتاب.. أما المؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم فيخبتوا له – ويعلم الله سبحانه – لا عن جهل منه سبحانه وتعالى – من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. أما الكافرين فهم جهلاء بحكمة هذا وسببه، فهم لسفههم يقولون: ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها.. أما أهل الكتاب فهم يعلمون فحوى ذلك ودلالته. فيغتاظون لذلك ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ (١٤٤) ﴾

[البقرة: ١٤٤].

وحتى لايأتى رجل من المسلمين فيقول «ما لنا والأنبياء بنى إسرائيل. لاتعلق لنا بهم» لا.. بل هم أنبياؤنا أيضا. يجب علينا حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم. ونحن أتباعهم أيضا فيما أتوا به من عند الله، لا فيما حرفه أتباعهم من بعدهم فهم وإن استقبلوا بيت المقدس. فنحن نستقبله. ومهما انصرفنا عنه. فسيبقى قبلتنا ومسرى رسولنا. فهو من مقدساتنا. التى يجب علينا تقديسها وتطهيرها ولذا

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾

[آل عمران: ٦٨].

تذييل:

أ - لقد كان تحويل القبلة أمراً عظيما على المسلمين. ارتد بسببه من ارتد، واتخذها المشركون وسيلة للتشنيع على هذا الدين.

أما اليهود فهم يعرفون فحوى هذا ودلالته. إنهم يعرفون أن انتقال القبلة. تغيير للوجهة... تغيير للموازين. وقلب للأوضاع.. ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ (١٤٥) ﴾

[البقرة: ١٤٥].

إن الحديث فى الآية عن أهل الكتاب - ومقصود بهم اليهود خاصة. وقد قال الله سبحانه فيها ﴿ وما أنت

بتابع قبلتهم ﴾. كيف يتحقق ذلك؟ وقد اتبع رسول الله قبلتهم ستة عشر أو سبعة عشر شهراً. ثم هؤلاء اليهود – كلهم – يتبعون قبلة واحدة هى بيت المقدس ولذلك قال سبحانه ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ أى أن لهم قبلة واحدة، ولو كانت لهم قبلات أخرى غير بيت المقدس لقال: ﴿ وما أنت بتابع قبلاتهم ﴾. وبرغم ذلك يقول عز وجل ﴿ وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ إن هذا الأخير يعنى أن لهم قبلات متعددة، بل يشعر بكثرتها.

إن القبلة هنا لاتعنى اتجاه الصلاة. بل هى أشمل من ذلك وأعم. إنها أصل القبلة التوجه والقصد والمتابعة.. إن الآية إخبار بعنادهم وعدم إقرارهم لك ولوجهتك ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** (٨٩) ﴾ [النساء: ٨٩]. ﴿ **وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ** (٦٩) ﴾ [آل عمران: ٦٩]. ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا** (١٠٩) ﴾ [البقرة: ١٠٩].. هذه وجهتهم وقصدهم إذاً.

إن وجهتهم على اختلاف طوائفهم واحدة إنها البعد عن القرآن والبيت الحرام. أما فيما بينهم فلكل منهم هدف يبغيه ومقصد يقصده.. وبرغم تفرقهم فى وجهاتهم متفقون على مخالفة وجهتك والإقرار لك ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾.

ب – ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ (١٤٤) ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ (١٤٦) ﴾ [البقرة: ١٤٦]. إن الضمير فى قوله ﴿ إنه الحق ﴾ وقوله: ﴿ يعرفون ﴾ ليس عائدا على القرآن أو النبى ﷺ كما يذكر بعض المفسرين. وذلك لأنه لا دلالة فى الآيات – أصلا – على ذلك. إن الآية تقول: ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء. فلنولينك قبلة ترضاها. فول وجهك شطر المسجد الحرام. وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره. وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم. وما الله بغافل عما يعملون ﴾ ثم تأتى

جملة اعتراضية ﴿ ولئن أتيت .. الآية ﴾ ثم يقول سبحانه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ... الآية ﴾ .

إن الضمير فى كلا الكلمتين عائد على شيء واحد هو الأمر بالاتجاه صوب الكعبة المشرفة ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

ولذلك قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره (١ / ١٩٣) «أى واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس . يعلمون أن الله تعالى سيوجهك إليها فى كتبهم عن أنبيائهم . من النعت والصفة لرسول الله ﷺ وأمته . وما خصه الله تعالى به . وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة . ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسداً وكفراً وعناداً .

ولهذا تهددهم الله تعالى بقوله : ﴿ وما الله بغافل عما يعملون ﴾ ا.هـ.

– نزل النبى ﷺ من السماء إلى المسجد الأقصى ونزل معه الأنبياء فأقيم للصلاة . فأخذ جبريل بيدى النبى فقدمه للصلاة .

وفى الأنبياء إبراهيم الخليل – عليه السلام – جد الحبيب

محمد ﷺ وأبناء عمومته من أنبياء بنى إسرائيل - موسى وعيسى وهارون ويوسف ويحيى - عليهم السلام - وهؤلاء كان موطنهم أرض فلسطين.. وقد قال النبى ﷺ «ليؤمكم أكبركم» رواه الستة وقال: «ولا يؤمن الرجلُ الرجلَ فى سلطانه ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه» مسلم وأصحاب السنن.

إن إمامة النبى للأنبياء - ببيت المقدس - لاتحتاج لإذن. لأنها إمامة تكليف. ولذلك أمره جبريل بالتقدم... إنها إمامة القائد بإخوانه القادة قال سبحانه: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]. والمهيمن هو الرقيب على غيره، الحافظ له، القاضى عليه. فالقرآن الكريم مهيمن على الكتب قبله. ونبى القرآن مهيمن على الأنبياء قبله .. لذلك يلجأ الخلق كلهم إليه يوم القيامة يسألونه الشفاعة. يوم يتراجع عنها بقية الأنبياء خيار خلق الله وأصفيائه. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ ولذا قال عز من قائل: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ**

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ [آل عمران: ٨١]. فهو لذلك ﷺ مقدم عليهم لأنه بمنزلة الحاكم. والحاكم يقدم فى الإمامة على غيره.. ومادام ﷺ حاكما فيعنى أن المسجد الأقصى من سلطانه. وأتباعه أولى به من غيرهم. والله المستعان.

تـذييـل:

فى إمامة النبى ﷺ للأنبياء فوائد غير ما تقدم. ففيها التنبيه على فضله،وفيها سلطانه على هذا المكان، وفيها وجوب اتباع كل من سمع به له عليه السلام ولعل أهم ذلك كله: ما يتفق مع قول الله سبحانه ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقد أغفلناه لكثرة مايتفرع عنه. فليرجع له فى مظانه.

تعدد الأكواب:

تكرر عرض الأكواب على رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره (٣ / ٢٣) «وأما عرض الآنية عليه. من اللبن والعسل. أو اللبن والخمر، أو اللبن والماء،

أو الجميع، فقد ورد أنه فى بيت المقدس . وجاء أنه فى السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا، لأنه كالضيافة للقادم . والله أعلم » ا.هـ.

فى كل مرة – برغم تغير الأصناف – يختار النبى ﷺ اللبن .. فلماذا ترك الماء والعسل والخمر؟ وما هى دلالة ذلك؟ ولأى شىء يشير؟ .

اللـــبن :

لما عرضت الأكواب على النبى ﷺ تناول اللبن وأعرض عن سواه . فأول جبريل – عليه السلام – اللبن بالفطرة .

قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم (١ / ٩٠٧) « فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة . وجعل اللبن علامة . لكونه سهلاً طيباً طاهراً . سائغا للشاربين . سليم العاقبة » ا.هـ.

وقال ابن القيم رحمه الله فى اعلام الموقعين (١ / ١٧٢) « ومن هذا تأويل اللبن بالفطرة . لما في كل منهما من التغذية الموجبة للحياة وكمال النشأة . وأن الطفل إذا خلى وفطرته لم يعدل عن اللبن . فهو مفطور على إيثاره على ما سواه .. وكذلك

فطرة الإسلام التى فطر الناس عليها » ا.هـ.

وقال أيضا رحمه الله فى شفاء العليل (٥٦٩) « كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره. وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية . . فلو خلى وعدم المعارض. لم يعدل عن ذلك إلى غيره. كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهى اللبن الذى يناسبه ويغذيه. وهذا من قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) ﴾ [طه : ٥٠]. وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) ﴾ [الأعلى ٢ - ٣]. فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه فشيئاً بحسب حاجته. ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة. فهكذا ما ولد عليه من الفطرة.

ولهذا شبهت الفطرة باللبن. بل كانت إياه فى التأويل للرؤيا. ولما عرض على النبى ﷺ ليلة الإسراء اللبن والخمر. أخذ اللبن. فقيل له : أخذت الفطرة. ولو أخذت الخمر لغوت أ

متك. فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه. وصلاحه بها دون غيرها» ا.هـ.

الخمـر:

لما تناول النبى ﷺ اللبن وأعرض عن الخمر قال له جبريل: ولو أخذت الخمر لغوت أمتك..

الغى: هو الضلال كما فى قوله سبحانه: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦] ﴿ **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ** ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٢]، وهو الهلاك ولذلك يقول العرب «أرض مغواة» أى مضلة مهلكة.

وقال عز وجل: ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها. فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ يعنى من الضالين المهلكين..

والغى ضد الاستقامة. كما قال سبحانه: ﴿ **قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال: ﴿ **وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ**

الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً (١٤٦) ﴾ (الأعراف : ١٤٦) . وقال عز من قائل : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) ﴾ [النجم : ٢] . فجعل سبحانه الغى ضد الاستقامة . . . ولذلك كان تأويل الخمر بالغى .

قال النووى فى شرح مسلم (١/ ٩٠٧) « وأما الخمر فإنها أم الخبائث . وجالبة لأنواع الشر فى الحال والمآل . والله أعلم » ا .هـ.

قلت : فالخمر ضد اللبن . والغى إذاً ضد الفطرة . . والخمر تخامر العقل فتستره عن الصواب . وتبعده عن الرشد والهداية .

ولذا قال سبحانه ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله » . وفى الحديث عند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « خط لنا رسول الله ﷺ خطا بيده . ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . وخط عن يمينه وشماله . ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه . ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ (١٥٣) ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

المــاء :

ورد ذكر الماء عند ابن جرير رحمه الله وفيه قول جبريل عليه السلام: «ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك».

أهل تعبير الرؤى – تفسير الأحلام – يؤلون الماء فى القدح بولد يولد. أو مال يأتى ... وإذا كثر المال كان فيه هلكة الإنسان والعياذ بالله.

انظر إلى قول الله سبحانه: ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)**﴾ [العلق: ٦ – ٧]. وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)**﴾ [الشورى: ٢٧]. وتأمل قول الله سبحانه ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ (١٥)**﴾ [التغابن: ١٥]. وقوله: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ (٥٦)**﴾ [المؤمنون: ٥٦].

لذلك كانت سعة الدنيا على الناس مصدر بلائهم وشقوتهم. بل مصدر هلاكهم فى الدنيا والآخرة.. ولذلك قال

النبى ﷺ : « فو الله ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم. كما بسطت علي من كان قبلكم. فتنافسوها كما تنافسوها. فتهلككم كما أهلكتهم » الستة غير أبى داود وانظر إلى هلاك الناس فى آخر الزمان بسبب المال. كما قال النبى ﷺ : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب. فإذا سمع به الناس، ساروا إليه. فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه. ليُذهبن به كله.. فيقتتلون عليه. فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون » رواه مسلم. فهذا المال هو سبب هلاك الناس. ولذلك قال النبى ﷺ فى الرواية التى أخرجها الشيخان وأبو داود والترمذى قال ﷺ : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب. فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا ».

العسل:

ورد ذكر العسل عند الإمام أحمد من حديث أبى هريرة وحديث ابن عباس. رضى الله عن الصحابة أجمعين. ولم يرد فى الأحاديث. لماذا عدل النبى ﷺ عن العسل؟ وأقول ومن الله سبحانه أستمد العون والتوفيق: قال الله سبحانه حاكيا عن

النحل: ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ (٦٩) ﴾ [النحل: ٦٩]. ففى قوله سبحانه: ﴿ شفاء للناس ﴾ ما يدل على أنه شفاء من بعض الأمراض. ولا يشفى من غيرها. ولذلك قال الأطباء: العسل حار فيدفع الأمراض التى سببتها البرودة. والله أعلم. ولذلك قال رسول الله ﷺ « الشفاء فى ثلاثة: فى شرطة محجم. أو شربة عسل. أو كية بنار وأنهى أمتى عن الكى » رواه البخارى وبمعناه عند مسلم.

قلت: وأهل التعبير يفسرون رؤية العسل بالخير والشر .. فالخير لكونه شفاء فيفسرونه بالعلم والقرآن والحكمة .. وأما الشر فلكونه يجتمع الذباب عليه.

قلت: يظهر أن تأويله بالشر ضعيف. وقد ورد عند الستة أن أبا بكر أول العسل بالقرآن. والنبى جالس .. فالعسل خير. ولو عرض على النبى ﷺ - والله أعلم - العسل وحده لأخذه.. ولذا ورد في رواية البيهقى أن رسول الله ﷺ قال « فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل. أرسل إلىَّ بهما جميعاً فعدلت بينهما. ثم هدانى الله عز وجل فأخذت اللبن ».

فالعسل خير وبركة ولكن فى مجال المفاضلة . . فاللبن خير من وجوه . . والله أعلم.

استفتاح جبريل وغزو الفضاء:

عرج جبريل برسول الله ﷺ إلى السموات العلى فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لهما.

في استفتاح جبريل – عليه السلام – فوائد . . . منها شرعية الإستئذان وآدابه. ويرجع لذلك فى كتب أهل العلم.

أيضا فى استفتاحه – عليه السلام – ما يرتبط ارتباطاً وثيقا بقوله سبحانه ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣)**﴾ [الرحمن: ٣٣].

الآية ليست خبراً، بل هى تهديد للخلق إلى قيام الساعة . . ظر إلى ما قبل الآية وما بعدها ﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان. ، آلاء ربكما تكذبان. يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن ' وا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا

بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . فإذا انشقت السماء وكانت وردة كالدهان . فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ . إنها تهديد وتعجيز للخلق . . إن استطعتم أن تخرجوا من ملكوت السموات والأرض فاخرجوا . . وهيهات هيهات .

« بالآية قرائن أخر تدل على أنها للتهديد وليست للإخبار » .

انظر إلى الجن وهم يعترفون بعجزهم عن الهروب من ملكوت الله سبحانه .

﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا** ⟨١٢⟩ ﴾ [الجن : ١٢] .

وانظر إليهم وقد قالوا : ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ⟨٩⟩ ﴾ [الجن : ٩] . فإذا كانوا لا يستطيعون الاقتراب من السماء فكيف لهم بإختراقها .

يقول سبحانه : ﴿ **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ⟨٣٢⟩ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] . من يستطيع اختراقها ؟ وقد حفظها الله ؟ . . إن السماء صلبة ثقيلة . وبسبب ثقلها احتاجت

أعمدة. ولكن الله رفعها بقدرته بغير عمد قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢] وقال: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق: ٦]. وقال عز من قائل: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ [الملك: ٣]. ولذلك جعل الله سبحانه لها أبواباً قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٠]. وقال سبحانه: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١]. إن الله سبحانه تحدى الخلق أن يخترقوا السماء. وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك إلا بسلطان.. إن السلطان ليس العلم المادي. وليس السحر والدجل.. إنه السلطان الذى آتاه الله محمداً ليخرج من ملكوت الأرض، فيخترق السموات السبع.. إنه السلطان الذى أوتيه جبريل – عليه السلام – ليصعد به إلى السماء.. فسبحان الله ربى ورب العرش العظيم.

أما صعود الناس إلى القمر والمريخ وغير ذلك .. فلا يعترض مع ذلك أبداً بل يظهر التعجيز أكثر وأكثر .. إن الإنسان الذى صعد القمر، لن يستطيع أن يقترب من السماء. بل اختراقها .. تأمل قول الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) ﴾ [الحجر: ١٦]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (٥) ﴾ [الملك: ٥].

إن هذه النجوم التى نراها فى السماء ما هى إلا مصابيح تدلت من السماء. فمن خواص المصباح أن يكون أسفل السقف .. إن الشمس والقمر مصباحان من المصابيح التى زين الله سبحانه بها السماء. ولكنها أقرب المصابيح لنا.

إن علماء الفلك يعترفون بعجزهم عن الوصول إلى أقرب النجوم إلينا. لأن ذلك يحتاج رحلة زمنها أربعمائة سنة .. فما بالنا بالنجوم التى احتاجت ليصل ضوئها إلينا ملايين السنين الضوئية. ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾ [يونس: ١٠١]. وهذه النجوم ما هى إلا مصابيح تدلت من السماء.

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

تذييل :

أقرب نجم لنا يبعد مسافة أربع سنوات ضوئية وسرعة الضوء هى ١٨٦٠٠ ميل فى الثانية الواحدة.. ولتقريب هذا البعد تقول آن ترى هوايت فى كتابها النجوم ص٩١ طبع دار المعارف «فلنفرض أننا مثلنا الشمس بليمونة هندية، فبنفس المقياس تمثل الأرض خرزة صغيرة قطرها ملليمتر ونصف ملليمتر، تدور حول الليمونة الهندية علي بعد ١٥ متراً... ولنفرض أننا مثلنا أقرب نجم إلينا بليمونة هندية أخرى .. فعلى أى بعد من الليمونة الأولى نضعها؟ على بعد ميل واحد؟ أم على بعد عشرة أميال؟ .. فكر مرة أخرى.. إن تلك الليمونة ينبغى أن توضع على بعد ٢٦٠٠ ميل من الليمونة الأولى. وإذا كانت الليمونة التى تمثل الشمس موضوعة بالقاهرة. فينبغى أن توضع الليمونة الأخرى فى مراكش» ا.هـ.

من مواقف الأنبياء ليلة الإسراء

آدم عليه السلام

قال النبى ﷺ « فلما علونا السماء الدنيا . فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة . فإذا نظر قبل يمينه ضحك . وإذا نظر قبل شماله بكى . فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . . قلت : ياجبريل! من هذا؟ قال : هذا آدم – عليه السلام – وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه . فأهل اليمين أهل الجنة . والأسودة التى عن شماله أهل النار . فإذا نظر قبل يمينه ضحك . وإذا نظر قبل شماله بكى » ا .هـ.

آدم – عليه السلام – هو أبو البشر . والأب هو القيم على أبنائه ينظر فى أعمالهم، ويفرح بخيرهم . حتى وإن لم يستفد منهم بشىء . ويحزن لما يصيبهم من شر وسوء . . ولذلك . عرض ربنا سبحانه ذرية آدم عليه . بعدما أخذها من ظهره . . كما أخبر النبى ﷺ بذلك فقال : « لما خلق الله آدم . مسح

ظهره. فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة. وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً من نور. ثم عرضهم على آدم. فقال: أى رب! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه. فقال: أى رب! من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود. قال: رب! وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: أى رب! قد وهبت له من عمرى أربعين سنة.. فلما انقضى عمر آدم. جاءه ملك الموت. قال: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته. ونسى آدم فنسيت ذريته. وخطىء آدم فخطئت ذريته» رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولما كان واجب الأب أن يبحث عما ينفع أبنائه، ويصرف عنهم السوء، ولما كان آدم – عليه السلام – هو من كان سبباً فى إخراج نفسه وذريته من الجنة. كما قال النبى ﷺ: «احتج آدم وموسى. فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى. اصطفاك الله بكلامه. وخط لك بيده. أتلومنى على أمر قدره الله علىَّ قبل أن يخلقنى

بأربعين سنة؟ قال النبى : « فحج آدم موسى . فحج آدم موسى » رواه الستة غير الترمذى .

لذلك كان جلوسه – عليه السلام – يرى أعمال بنيه أشبه بالعقاب – والله أعلم – فلذلك يبكى كلما وجد أحداً من ذريته قد استوجب النار .. ولذلك أيضا . إذا كان يوم القيامة – كما أخبر النبى – يقول الله عز وجل : يا آدم : فيقول : لبيك وسعديك . والخير فى يديك . فيقول الله عز وجل : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » متفق عليه .. هذا والله أعلم(*) .

موسى عليه السلام

لموسى عليه السلام مع نبينا ﷺ فى ليلة الإسراء موقفان حرى الوقوف عندهما .

الأول : لما جاوزه النبى ﷺ بكى موسى . فنودى : ما يبكيك؟ قال : رب هذا غلام بعثته بعدى . يدخل من أمته الجنة

(*) ملاحظة : فى موقف آدم عليه السلام فوائد غير ما ذكرنا، منها شفقته على بنيه، ومسألة القدر، وغير دلك.

أكثر مما يدخل من أمتى .

قال ابن القيم رحمه الله فى مدارج السالكين (١ /٢٤٧) « وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : انظر إلى موسى - عليه السلام - رمى الألواح التى فيها كلام الله . الذى كتبه بيده فكسرها . وجر بلحية نبى مثله . وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها . وعاتب ربه ليلة الإسراء فى محمد ﷺ ورفعه عليه » وربه تعالى يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه . لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة . فى مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره . وعالج أمتى القبط وبنى إسرائيل أشد المعالجة . فكانت هذه الأمور كالشعرة فى البحر » ا.هـ.

وقال أيضا رحمه الله فى عدة الصابرين (٤٣) « ونظير هذا فى الشاهد - أن يقتل الرجل عدواً للملك . هو حريص على قتله . وشرب مسكراً نهاه عن شربه . فإنه يتجاوز له عن هذه الزلة . بل عن أمثالها فى جنب ما أتى به من محبوبه » ا.هـ.

وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم (١ /٩٢٣) « معنى هذا - والله أعلم - أن موسى عليه السلام حزن على قومه لقلة المؤمنين منهم، مع كثرة عددهم، فكان بكاؤه حزنا عليهم،

وغبطة لنبينا ﷺ على كثرة أتباعه، والغبطة فى الخير محبوبة . . ومعنى الغبطة : أنه ود أن يكون من أمته المؤمنين مثل هذه الأمة . لا أنه ود أن يكونوا أتباعاً له . وليس لنبينا ﷺ مثلهم .

والمقصود : أنه إنما بكى حزنا على قومه . وعلى فوات الفضل العظيم والثواب الجزيل . بتخلفهم عن الطاعة . فإن من دعا إلى خير وعمل الناس به . كان له مثل أجورهم، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة . ومثل هذا يُبكى عليه . ويُحزن على فواته . والله أعلم » ا.هـ.

الثانى : لما فرض الله سبحانه على نبينا ﷺ خمسين صلاة نزل إلى موسى – عليه السلام – فقال : ما فرض ربك علي أمتك؟ قال : خمسين صلاة . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فإن أمتك لايطيقون ذلك . . فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم . . . فما زال رسول الله يرجع بين رب العزة سبحانه وبين موسى، حتى قال الله سبحانه : يا محمد! إنهن خمس كل يوم وليلة لكل صلاة عشر . فذلك خمسون صلاة .

وفى هذا الموقف نقاط . .

الأولى : إخباره، بتعنت قومه، وتمردهم على أوامر الله سبحانه، فإنهم ما خضعوا لأوامر الله إلا لما رأوا العذاب فوق رؤوسهم قال سبحانه : ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٧١) ﴾ [الأعراف : ١٧١].

ولذلك قال نبي الله موسى عليه السلام : إني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم . . وهم – اليهود – قد افتروا على أنبياء الله – عليهم السلام – ورموهم بالعظائم . بل افتروا على نبيهم موسى عليه السلام وآذوه . . بل افتروا على رب العزة سبحانه فنسبوا إليه الفقر والعجز والتعب . تعالى الله كما يقول الظالمون .

وهم – مازالوا – يعبدون المال . . وما عبدوا العجل إلا لأنه كان ذهبا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الثانية : شهادة موسى – عليه السلام – لأمة محمد . . إن استطاعوا القيام . بهذه الصلوات الخمس . . فقد ظن – عليه السلام – أن الأمة الإسلامية لاتفترق عن اليهود . . . فقال : فإن أمتك لايطيقون ذلك . . فإني قد بلوت بني إسرائيل

وخبرتهم . . . وبمفهوم المخالفة : أى لو كانت أمتك مثل أمتى فلن يطيقوا الصلوات الخمس . . وإن كانوا خيرا من أمتى، فستكون هينة عليهم . . ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة : ٤٥] . وقال سبحانه عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) ﴾ [النساء : ١٤٢] . . . ولأن المسلمين استطاعوا أن يقيموا الصلاة، وذلك أمر لم تطقه الأمم قبلها . . فكان ذلك شهادة لها بالخيرية عليهم ولذلك قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (١١٠) ﴾ [آل عمران : ١١٠] . والحمد لله رب العالمين.

الثالثة : رأفة نبى الله موسى – عليه السلام – بأمة الإسلام . وحبه لهم . وفى ذلك الإشارة إلى تمام إيمانه – عليه السلام – كما قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الستة غير أبى داود .

وفى ذلك أيضا . الإشارة إلى ما يجب علينا تجاه هذا النبى وقد قال نبينا صلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين : « من

صنع إليكم معروفا فكافئوه » رواه أبو داود والنسائي .

فيجب علينا حبه وتوقيره . والدفاع عنه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) ﴾ [الأحزاب : ٦٩] . وإذا كان الله سبحانه قد ابتلاه باليهود . فنحن أتباعه أيضا . نؤمن به كما نؤمن بنبينا وسائر الأنبياء ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ .

ملاحظة : في هذا الموقف أشياء أخرى غير ما ذكرنا . . ففيه معنى قوله سبحانه : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ وفيه النصيحة وآدابها . وغير ذلك . . . والله الموفق .

إبراهيم الخليل عليه السلام .

لإبراهيم الخليل – عليه السلام – مع نبينا في ليلة الإسراء مواقف مختلفة . حري بالمسلم أن يتأمل فيها، ويتعلم منها .

الأول : رأى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في هذه الليلة . إبراهيم الخليل عليه السلام – وقد اسند ظهره للبيت المعمور . . . وقد تكلمنا عن ذلك في مبحث المسجد

الحرام والمسجد الأقصى، ويأتى بعضه فى النيل والفرات.. فليجتهد القارئ بربط هذه المباحث الثلاثة سويا.. وسيخرج هنا بفائدة إن شاء الله.

« ملاحظة: هذه المباحث الثلاثة متشابكة. لابد لفهمها من ربطها سويا. والله الموفق».

« ملاحظة أخرى: فى هذا الموقف - غير ما سيجده القارئ فى المباحث الثلاثة - أشياء أخرى كالتنبيه على منزلة إبراهيم عليه السلام. وجواز استدبار القبلة. وغير ذلك».

الثانى ورد عند البخارى من حديث سمرة أن النبى - ﷺ - رأى فى منامه إبراهيم - عليه السلام - وحوله الصبيان.. وقد روى أن ذلك كان فى الإسراء أيضا والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله فى جلاء الأفهام (١٤٩) «وكان - يعنى إبراهيم - عليه السلام - كما قيل: قلبه للرحمن، وولده للقربان، وبدنه للنيران، وماله للضيفان..

ولما اتخذه ربه خليلا - والخلة هى: كمال المحبة - وهى مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة، وكان قد سأل ربه: أن يهب

له ولداً صالحًا. فوهب له إسماعيل. فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه. فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره.. امتحنه بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله. وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد، إيثاراً لمحبة خليله على محبته. فسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم، لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر به، فلما حصلت هذه المصلحة. عاد الذبح نفسه مشقة، فنسخ في حقه. فصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة» أ.هـ.

قلت: ولذلك – لأنه امتثل لأمر ربه، وقدم ابنه قربانا لربه، يبغي بذلك رضا مولاه سبحانه – كان الجزاء من جنس العمل. فكما أن الإنسان إذا ترك الخمر طلبًا لمرضاة الله في الدنيا، سقاه ربه يوم القيامة من خمر الجنة، وكما أنه إذا امتنع عن الزنا في الدنيا. زوجه الله من حور الجنة، وكما أنه إذا بكى من خشية الله في الدنيا حرم الله على عينيه النار يوم القيامة، وكما أنه إذا سقى مسلما سقاه الله من أنهار الجنة، وكما وكما.. كان

لذلك – والله أعلم – جزاء إبراهيم عليه السلام من جنس عمله.. فلما قدم ابنه قربانا لله عز وجل، بدله الله أبناءاً كثيرة في دار الآخرة . وما عند الله خير وأبقى .

الثالث : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى . فقال : يا محمد ! أقرئ أمتك السلام . وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة . عذبة الماء . وأنها قيعان . وأن غراسها : سبحان الله ولا إله إلا الله، والله أكبر » رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن .

قال ابن القيم رحمه الله فى جلاء الأفهام (١٤٤) « فإن إبراهيم بالسريانية معناه أب رحيم » ا.هـ قلت فهو أبو الأنبياء، وخليل الرحمن وما بلغ ذلك إلا بإخلاص وجهه لله عز وجل أولا وبكونه أب رحيم ثانيا.. انظر إليه عليه السلام وهو يستعيذ بالله من الشرك كيف يشرك ابناءه معه فيقول : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وانظر إليه عندما بشره الله بإتخاذه إماما كيف طلب ذلك أيضا لذريته فيقول الله سبحانه : « ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

بذلك استحق أن يكون أمة وحدة ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) ﴾ [النمل: ١٢٠ - ١٢١] .

ولأنه أب رحيم كانت هذه الوصية منه إلينا على لسان نبينا عليه وعلى الخليل الصلاة والسلام... لعل وصية الخليل لنا تخبرنا لماذا اختار الله سبحانه لنا ملة إبراهيم. وأمرنا باتباعها.. والحمد لله رب العالمين.

« ملاحظة : فى وصية إبراهيم هذه .. غير التنبيه على رحمته ومكانته، فضل الذكر. والوصية بالخير وأدب المراسلات، ومعنى قوله سبحانه ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾، ومعنى قوله - عليه السلام - لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وغير ذلك » .

النيل والفرات

«حـدث نبى الله - صلى الله عليـه وآله وسلم - أنه رأى أربعة أنهار. يخرج من أصلها. - أصل سدرة المنتهى - نهران ظاهران ونهران باطنان.. فقال: يا جبريل ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة. وأما الظاهران فالنيل والفرات» ا.هـ. ما أكثر أنهار الدنيا.. ولكن ما هى دلالة خروج هذين النهرين من الجنة؟ وما دلالة رؤية نبى الله لهما ليلة الإسراء؟

وما هى خواص المنطقة بين النهرين؟ ولماذا هذه المنطقة بالذات هى منطقة الوعد المقدس عند اليهود؟؟

١ - ان كون هذان النهران من الجنة. ليشعر بأن لا حياة للناس بدونهما.. يقول سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ**﴾ [السجدة: ٢٧] قال كثير من المفسرين: الأرض الجرز هى أرض مصر.. وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره (٣ / ٤٨٠) «بل هى بعض المقصود» ثم قال «ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية. فانها فى نفسها أرض

رخوة غليظة، تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها . . . فيسوق الله تعالى إليها النيل، بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهى أرض سبخة مرملة، محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيشتغلون كل سنة على ماء جديد ممطور فى غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً » ا.هـ.

سبحانك ربى ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) ﴾

[هود : ٦] .

هذه أرض مصر لا حياة لها بلا هذا النيل . وأرض الفرات مثل أرض مصر لا حياة لها بلا الفرات ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾

[يوسف : ١٠٥] .

٢ – موطن الأنبياء من لدن إبراهيم حتى خاتمهم محمد– عليهم

جـمـيـعـا صلوات ربى وسـلامـه – فى المنطقـة بين النيل والفـرات . . فـبابل بالعـراق مـولد إبراهيـم ولوط . وفلسطين مهاجرة إبراهيم والأردن مهاجرة لوط وفلسطين موطن أبناء إبراهيم إسحق ويعقـوب حـتى عيسى، ومـصـر مـهـاجـرة إبراهيم ويوسف ومـولد مـوسى، وبلاد العـرب مـولد إسماعيل، ومهاجرة موسى، وموطن نبى الله وخاتم الأنبياء مـحـمـد . صلى الله على الجـمـيع إن هذه إذًا هى الأرض المباركة .

« ملاحظة : راجع هنا ماذكرناه فى الكلام على المسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

ولذلك كـانت هذه الأرض هى منطقة الوعـد اليـهـودى « فى ذلك اليـوم قطع الرب مع إبراهيم مـيـثـاقًـا قـائلا : لنسلك أعطى هـذه الأرض من نـهـر مـصـر إلى النـهـر الكـبير نهـر الفـرات »تـكوين ١٥ / ١٨ .

« ويلاحـظ أن الوعـد ليس لليـهـود . بـل لنسـل إبراهيم كـلـهـم . ومنهـم العرب بلا شك » .

إذاً فهذه هى الأرض الموصوفة فى سفر التثنية ٨ / ٦ — ٩ « أرض أنهار من عيون وغمار، تنبع فى البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيت وعسل. أرض ليست بالمسكلة تأكل فيها خبزاً. ولا بعوزك فيها شيء. أرض حجارتها حديد، ومن جبالها تحفر نحاسا » ١ . هـ.

إنها أرض الثروات منها تخرج جل ثروات العالم.. البترول والفوسفات والحديد و...

٣ – انحسار الماء فى هذه المنطقة إيذان بخراب الدنيا، حيث يقتتل الناس ويظهر الهرج، كما أخبر النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – « لا تقوم الساعة. حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة: تسعة وتسعون. ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو » متفق عليه واللفظ لمسلم.

وفى حديث الجساسة عند مسلم وأصحاب السنن « قال الدجال: أخبرونى عن بحيرة الطبرية؟ قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما إن

ماءها يوشك أن يذهب.. ثم قال: أخبروني عن عين زغر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء. وأهلها يزرعون من مائها» ا.هـ المقصود فذهاب الماء من هذه المنطقة إيذان بخراب الدنيا... والله سبحانه العاصم والمستعان. أقول وبالله التوفيق: إن رؤية النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لهذين النهرين. مع ما لهما من أهمية في الأرض.. فبوجودهما تحيا الأرض. وبذهابهما يكثر الهرج وتحدث الفتن كما أن الأرض بين النهرين: أرض الأنبياء، وأرض الثروات، وأرض المحشر، وأرض الفتن، فيها ينزل عيسى عليه السلام، وفيها يقتل الدجال. وفيها يخسف بالجيش الذي يؤم البيت الحرام، وفيها يقاتل المسلمون اليهود، وفيها خير منازل المسلمين يوم قتال اليهود بالغوطة بسوريا، وفيها يعتصم عيسى وأتباعه في جبل الطور، وفيها يقف «يأجوج ومأجوج» على جبل خمر بأرض فلسطين يريدون حرب أهل السماء، وفيها يأتي ذو السويقتين الحبشي ليهدم الكعبة.. فنعوذ بالله من الفتن ومن حصولها.. إن رؤية هذين النهرين في ليلة الإسراء ليلة الإخبار بتحويل

القيادة للمسلمين، ليوحى للمسلمين بأن هذه الأرض المباركة يجب أن يدافعوا عنها . وأن يبذلوا فى سبيل الحفاظ عليها، وإبعاد الفتن عنها . الغالى والرخيص.

وان الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

الصلاة

إن الصلاة ليست تكليفا، بقدر ما هى منحة وهدية من الله سبحانه لعبيده . . إذا كان المعراج منحة ربانية لخير الخلق محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فإن أمة محمد لن تخلو من المنحة والهدية . . سيعود محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بما فيه قرة عيون الموحدين، وطمأنينة قلوبهم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » رواه أحمد .

لعل الرحلة كلها – والله أعلم – كانت تجهيزاً لاستقبال هذه الهدية المباركة . . يتطهر النبى فى مكة، فيغسل قلبه – صلى الله عليه وآله وسلم – ثم يخرج بروحه وجسده من المقاييس الأرضية، صاعدا فى ملكوت السموات، يلتقى بالأنبياء – آباؤه وإخوانه – ليعرف أنه على الطريق الحق ﴿ **قُلْ مَا**

كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] ثم يرى الجنة والنار وآيات ربه الكبرى فيقع ساجدا لله، يناجيه، مقبلا عليه.. هكذا حدث مع النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – والمسلم على الجادة سار.. يغسل أعضاءه المذنبة، المتدنسة بدنس المعاصى. خالعًا نفسه من الدنيا، مقبلا على الله، فتتساقط – لذلك – ذنوبه مع الماء.. ثم يقع ساجدا بين يدى ربه. يناجيه، فكأنه يرى الجنة وكأنه يرى النار، وكأنه يسجد أسفل عرش الرحمن يرى آ سبحانه الكبرى.

فإذا جاء العبد المؤمن ربه يوم القيامة، وكشف الرب سبحـ عن ساقه. وقع العبد ساجداً لعظمة ربه، ينطق قلبه: ربى. قـ كنت أسجد لك فى الدنيا عارفا بعظمتك، مؤمنا بك..

ربى وخالقى ومولاى. أنا عبدك الذليل. أعفر وجهى بيـ يديك. أنا عبدك المتنجس بالذنوب.. قد أغرقتنى الذنوب ومن ينشلنى منها غيرك سبحانك.. ربى.. سترت علىّ ذنوبى وأتمادى. فإلى من ألجأ أن غُلقت أبواب رحمتك فى وجهى،

من يكرمنى إذا أهنتنى . . » ومن يهن الله فما له من مكرم » .

يارب . . موسى عبدك وكليمك، كلمته وكلمك، وكرمتنى ربى حتى قصدتنى بكتابك . . فمتى أردت مناجاتك ناجيتك . .

يارب . . ظلمت نفسى ظلمًا كثيراً، ومن يغفر الذنوب غيرك؟ « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

يارب . . آمنت بك ربا وإلها . . آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت « لا نفرق بين أحد من رسله » . . يارب كما صليت وباركت على إبراهيم وآله . . فبارك على محمد وآل محمد وصلى على محمد وال محمد . . اللهم انّا آل محمد . لن نهلك وأنت رجاؤنا . ولن نضام وأنت عزنا . . فاغفر لنا ذنوبنا . . واهدنا الصراط المستقيم . . .

خاتمة نسأل الله حسن الخاتمة

تلكم بعض الإشارات فى قصة الإسراء والمعراج – وما تركت أكثر مما ذكرت – ولكن حسبنا أنا قصدنا الإشارة . والله المستعان .

ولعل المسلمين يتذكرون ما يجب عليهم تجاه بيتهم الحرام وبيتهم المقدس . . هل حرم المسلمون هذا؟ وقد سوا ذاك؟ أ صار بيت المقدس يتلاعب به الأرجاس الأنجاس؟ يحرقونه حيناً ويهدمون بعضه حيناً . ويجعلون أسفله الأنفاق آخر والمسلمو – مع كل ذلك – فى سباتهم يغطون؟!

إن المسجد الأقصى ينادى : يا مسلمون ! أنا مسرى نبيكم، وأولى قبلتيكم . . يا مسلمون! قد سنى الله . فهل قد ستمونى؟

ماذا تقولوا لربكم إذا سألكم غداً عنى؟؟

رأينا نهرى الأرض – النيل والفرات – ينبعثان من السماء . . رأينا الأرض المباركة تدنست، وصارت هدف المفسدين فى

الأرض.. بل صارت موطنهم ومهاجرتهم.

فماذا أعددنا لذلك؟

هم – اليهود – يزرعون الغرقد، لحماية أنفسهم إنهم يعلمون أن وعد الله حق... ونحن ماذا زرعنا؟ وماذا أعددنا؟

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رأينا رحمة رب الأرض والسماء بخير أمة أخرجت للناس.. هداهم قبلتهم الحق، وفتح لهم أبواب مناجاته، يلجونه متى أرادوا. وضاعف لهم حسناتهم.. فهل عفرنا وجوهنا بين يدى الله سبحانه؟ تملئنا الرغبة والرهبة.. أم كانت صلاتنا – إذا صلينا – أداءً لا روح فيه؟

رأينا الأنبياء – كيف يحبوننا ويتمنون لنا الخير، فهل أحببناهم ودافعنا عنهم؟

ورأينا كيف ظل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يسأل ربه التخفيف علينا.

فهل أثر ذلك فى نفوسنا، فأحببناه أكثر من نفوسنا وأموالنا وأهلينا؟

وهل عزرناه ووقرناه وأطعناه وأتبعناه؟ أم سمعنا دعاة الباطل يسخرون من سنته ويحاربونها، ونحن مقطوعى الألسنة مغلقى الأفواه؟

هل اتبعناه وأطعناه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

[آل عمران: ٣١].

أم كلما أتانا خبر عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - سألنا عنه: فرض أم سنة؟؟

فلنسأل أنفسنا: ماذا نقول له إذا التقينا به يوم القيامة؟ كيف نسأله الشفاعة؟ ونحن هاجرى سنته؟؟... نسأل الله سبحانه أن يعفو عنا ويتقبل منا. والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بحمد الله

المحتـــــوى

دار زاهد القدسي
طبع - نشر - توزيع

٧٢ شارع البستان - عابدين - القاهرة

تليفون وفاكس: ٣٩١٢١٢٢

ص . ب : ٦٦٣ - القاهرة

تم والحمد لله